السنة الثالثة　　العدد ٢٤　　١٥ كانون الاول سنة ١٩٠٠

المشرق

# اشرف النبوّات المريميّة

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان في حلب

## توطئة

ان افخر نبوَّة جاءت في العهد القديم عن امّ المسيح العذراء مريم عليها السلام هي آية اشعيا حيث يقول (٧ : ١٤) : « ان العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل ». وكون هذه العذراء هي مريم ام المسيح قد اوضحهُ الانجيلي متى بصريح العبارة في انجيله حيث قال (١ : ٢٢) : « هذا كلهُ كان ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمهُ عمَّانوئيل »

الآنَ اليهود والبرهانيّين لم يكونوا ليَدّعوا بلا اعتراضٍ هذه النبوَّة النفيسة التي تثبت حقيقة الديانة المسيحيَّة بقدر ما تشرّف المسيح وأمَّهُ فقالوا ان الانجيلي متى قد وهم في اطلاقهِ نبوة اشعيا هذه على امّ المسيح : ( اولًا ) لأنَّ الكلام ليس عن عذراء اذ ان لفظة עלמה ( عَلْمَه ) التي استعملها اشعيا لا يلزم فيها عن عذراء . و ( ثانيًا ) لانهُ وان تُرجمت لفظة « علمه » بالعذراء لا تنطبق مع ذلك على امّ المسيح . والدليل أنَّ النبي يعد الملك آحاز بعلامة تكفل لهُ بالخلاص من تهديد ملك سورية وملك افرائيم وهذه العلامة هي ان امرأة تحبل وتلد ابنًا ويدعى اسمه عمانوئيل فلا بدّ اذًا من ان تحدث هذه العلامة امَّا حالًا او اقلّه في وقت قريب ليكون كلام النبي صادقًا ويطمئنَّ آحاز . والحال ان حَبَل مريم بالمسيح وولادتها اياه لم يحدثا الَّا بعد ٧٥٠ سنة . اذن ليس من شأنهِ أن يسكّن روع آحاز الذي تكون حينئذٍ قد بليت عظامه وبالتَّالي ليس الكلام عن مريم امّ المسيح

قبل الجواب على هذا الاعتراض لا نرى بُدًّا من تعريف الظروف التي جاءت فيها هذه النبوة. يخبرنا الكتاب المقدس في المكان عينه ان راصين ملك آرام وفقحيا ملك اسرائيل صعدا الى اورشليم لمحاربتها فلمَّا وصل الخبر الى آحاز ملك يهوذا واهل بيتهِ وشعبهِ رجف قلبهُ واضطربت قلوب امتهِ كما يهتزّ شجر الغاب امام الريح. فبأمرهِ تعالى جاء اشعيا النبي ليسكّن جأش آحاز متنبئًا لهُ بعدم نجاح ذينك الملكين. ولمَّا لم يقتنع آحاز أوعز النبي الى الملك الغير المؤمن ان يطلب آيةً تكون لهُ بمثابة عربون على ان الله يريد بالحقيقة ان يخلصهُ من ايدي اعدائهِ. فامتنع احاز من ذلك بحجة انهُ لا يريد ان يجرّب الرب. فما كان من النبي الَّا انهُ التفت الى آل داود وهم اعيان بيت الملك فقرَّعهم على قلَّة ايمانهم الى ان اكَّد لهم ان الرب نفسهُ رغمًا عن امتناع الملك وقلة ثقتهم يعطيهم هذه الآية وهي ان « العَلْمه » تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمهُ عمانوئيل. سمنًا وعسلًا يأكل الى ان يرفض الشرّ ويختار الخير لانهُ قبلما يعرف الصبي ان يرفض الشرّ ويختار الخير تخلو الارض التي انت تخاف من ملكيها. فنحن نقول ان لفظة « عَلْمه » في هذه الآية هي كناية عن العذراء التي صارت امًّا للمسيح من دون ان يمسّ ذلك بتوليتها ونثبت قولنا بستَّة براهين ثمَّ نعود الى القسم الثاني من الاعتراض فتردّ عليهِ .

١ اثبات دلالة آية اشعيا على العذراء مريم

(البرهان الاوَّل) يؤخذ من اشتقاق الكلمة (הָעַלְמָה عَلمه) التي تُطلق على البنت غير المزوَّجة ولا تقال ابدًا عن المتزوجة في اللغة العبرانيَّة فيكون اذًا كلام النبي عن عذراء. وعليك ان تعتبر ان لفظة علمه في النص العبراني لهذه الآية محلاَّة بأل التعريف اذًا الكلام عن عذراء معهودة مشهورة مختارة من الله لتكون امًّا لعمانوئيل فهي العذراء على سبيل الغلبة والتخصيص العذراء الفريدة بين جميع العذارى. وعلمه هي مؤنث « عَلم » الذي معناه صبي وفي سفر صموئيل الاول (١٧ : ٥٦) : تُطلق على الصبي داود عند ما خرج لمحاربة الفلسطينيين. وفيهِ ايضًا (٢٠ : ٢٢) تطلق على خادم يوناتان الذي تارةً يدعى عَلَم وأخرى نَعَر وبهذا المعنى ايضًا تُستعمل في اللغات القريبة الى العبرانية. ففي اللغة الفونيقية التي قيل انها فرع من العبرانية معنى لفظة « علمه » هو عذراء بلا مراء. وفي العربية لفظة غلام تطلق على الصبي منذ طفوليته بل منذ ولادتهِ حتى الشبوبية ومن ذلك نُقلت الى معنى آخر فأطلقت على الخادم ايضًا كما انهُ في جميع اللغات لها

معنى الخضوع لان الصبي يكون في صغره محجوراً خاضعاً لأبويه حتى يصل الى عمر الزواج فيستقل. وكذا القول في اللغة الكلدانية كما يظهر من نص الترجوم على فصل اشعيا هذا فانهُ لم يكتفِ بان يدعو ام عمانوئيل حصمعا بل دعا الصبي ايضاً حصمعا. وقس على ذلك اللغة السريانية. وفي جميع هذه اللغات لا تطلق لفظة « علمه » على الصبي المزوج ولا على البنت الزوجة بل على البنت البكر

( البرهان الثاني ) من استعمال الكتاب المقدس — . وهب انَّ اصل الكلمة واشتقاقها لا يدلَّان على البتول العذراء. ألا ان الكتاب المقدس يعيّن معناها بنوع قطعي فان الاستعمال كثيراً ما يعطي للكلمة معاني بعيدة عن اصلها والحال اننا نرى في الكتاب المقدس لفظة « علمه » تطلق على الدوام على بنت شابة عذراء. فانها وردت ستّ مرّات في الكتاب المقدس: مرّتين في سفر التكوين ( ٢٤: ١٦، ٤٣ ) وفي المرتين الكلام على رفقة البنت التي خطبها اليعازر لاسحق ابن سيده ابراهيم ولا شك ان هذه كانت عذراء بلا لوم. ثم في سفر الخروج ( ٢: ٨ ) حيث الكلام على اخت موسى التي كانت عذراء. ثم في المزمور ٦٧ (ع٢٦) حيث الكلام على بنات كنَّ يضربن بالدف بقرب تابوت العهد ولا شك ان البنات المستخدمات في الاحتفال الديني كنَّ عذارى. ثم في نشيد الانشاد ( ١: ٢ ) حيث الكلام عن البنات العاشقات العريس السرّي اللواتي من الضرورة ان يكنَّ عذارى نقيّات مستأهلات محبة العريس الالهي ثم في السفر عينه ( ٦: ٧—٨ ) حيث يُجعل تمييز بين الملكات والسرّيات والبنات. اما الملكات والسريات فلا جرم انهنَّ مقيَّدات بالزيجة واما البنات فبعكسهنَّ كما هو واضح. ثم في سفر الامثال ( ٣٠: ١٩ ) حيث الكلام عن فتاة عذراء. او اقلّه محسوبة كذلك فان ملخص المثل المذكور هو هذا: « انهُ لامر صعب ان يُعرف طريق النسر في السماء وطريق الحيَّة اذا مشت على الصخرة وطريق السفينة في البحر حيث لا تترك اثراً لمرورها وطريق الرجل مع الفتاة » يريد الفتاة التي يأتيها الرجل بحيث لا يُعرف بعد هل بقيت عذراء. ام خسرت بتوليتها لان المرأة الفاسقة نفسها اذا فوجئت في فعلها الذميم تخفي ذنبها فكم بالحري الفتاة

غير ان اليهود يرفضون هذا الشرح زاعمين ان لفظة « علمه » هنا لا تُطلق على العذراء لكن على بنت مفترعة او على امرأة زانية ولكن من لا يرى ان ذلك مردود

بنصّ الآية نفسهِ فانَّ قوله التالي: « وطريق المرأة الفاسقة » ينبئ بمقابلة ومن المحال ان يُقابَل الشيء بنفسهِ فلا بد اذًا من القول ان لفظة « علمه » هنا ايضًا هي لمعنى العذراء كما عرَّبها الآباء اليسوعيون في ترجمتهم وبالتالي ان هذه اللفظة لا يستعملها الكتاب المقدس الّا لمعنى البنت البكر. وبكل حقّ قدر هيرونيموس ان يقول في تفسيره هذه الآية ما نصُّهُ: بقدر ما اذكر لا اظنُّني رأيتُ قطعًا لفظة « علمه » لمعنى المرأة المزوجة بل دائمًا لمعنى البكر اللهمَّ اذا كانت في سنّ الشبوبية فان البكر يمكنها ان تكون ايضًا طاعنةً في السنّ امَّا البكر التي نحن في صددها اي علمه فهي فتاة خرجت الى سنّ الشبوبية بحيث اضحت في عمر قابل الزواج (انتهى)

فترى ان النبي قد اختار لفظة تُعتبر غايةً في الدلالة على العذراء الفتيَّة لان لفظة نَعرَه (נערה) تُطلق ايضًا على البنت ولكن تارةً على المزوجة كما في سفر راعوث (٢: ٥و٤: ١٢) وطورًا على غير المزوجة كما في سفر الملوك الاول (١: ٢) وفي سفر استير (٢: ٢٢) وكذلك لفظة بَتُولَه (בתולה) تطلق ايضًا على العذراء الّا انهُ ليس فيها معنى الصبى فقد تُستعمل ايضًا لعذراء طاعنة في السن

(البرهان الثالث) من سياق الكلام — ان المتن العبراني الاصلي لهذه الآية يقول: هوذا العلمه حامل ووالدةٌ ابنًا. فهذا النصّ لا يحتمل الّاهذا المعنى: اي هوذا العذراء بما انَّها عذراء ومع كونها عذراء ومع بقائها عذراء هي في الوقت عينه حامل ووالدة ابنًا. فهذا هو معنى الآية الطبيعي. كأن النبي يبصر امام عينيهِ ويشير بيدهِ وهو يقول: « انظروا هذه هي العلامة هذه هي الاعجوبة اعني عذراء حاملًا ووالدة ابنًا. فان النصّ الاصلي لا يستعمل افعالًا لكن اسماء الفاعل « حامل ووالدة ». فلو قال: هوذا العذراء تحبل وتلد لأمكن ان يُفهم بان التي هي الآن عذراء ستحبل يومًا وتلد وبذلك تزول بتوليتها ولكن استعمالهُ اسم الفاعل يضطرنا ان نفهم بان العذراء تحبل وتلد وهي مستمرةٌ عذراء اعني في المعنى المجتمع لا في المعنى المفترق. وفي الكتاب المقدس تُطلق اسماء الفاعل هذه على نساء حاملات في الحاضر (طالع التكوين ١٦: ١١و٢٨: ٤٢) وسفر القضاة (١٣: ٥—٧)

ثم كل يرى ان الرب في هذه الآية يريد ان يعطي بيت داود علامةً اعني اعجوبةً من ابهر العجائب ويدلنا على ذلك كونهُ تعالى خيَّر آحاز في ان يطلبها من عمق الارض

او من اعلى السماء اعني من كلّ ما تشتمل عليه الطبيعة فلمّا رفض آحاز ان يطلبها عزم الرب ان يعطيها هو بنفسه فلا بدَّ اذن ان تكون موازنةٌ بين قدرته تعالى وكلامه هذا المحتفل الطنّان. فاين تكون الاعجوبة اذا قلنا ان عذراء تحبل وتلد كعادة سائر النساء. اعني بفقدها بتوليتها. انَّما الاعجوبة في اتحاد البتوليّة مع الحبل والولادة. قال لم الذهب: ان لم تبقَ عذراء فليست هذه اعجوبة اذ لا بدَّ ان تفوق الآية النظام الاعتيادي وتعلو على الترتيب الطبيعي وتكون امرًا جديدًا غير منتظر بحيث يتعجَّب منهُ كل من يراه فلو كان الكلام عن امرأة تلد بمقتضى شريعة الطبيعة فما بالهُ يدعو اعجوبة ما نراه كل يوم يحدث اعتياديًّا «انتهى». والنتيجة ان الكلام لا يصحّ الّا عن عذراء حامل ووالدة ابنًا وهي مستمرَّة عذراء.

(البرهان الرابع) من كون ابن هذه «العَلْمه» هو عمانوئيل — ان ملخَّص برهاننا هو: ان الابن الذي تلده هذه «العلمه» هو عمانوئيل. والحال ان عمانوئيل هو المسيح والمسيح في الكتاب المقدَّس يُذكَر لهُ امّ ولا يُذكَر لهُ اب الّا الله. اذن «العَلْمه» امّ عمانوئيل هي عذراء رغمًا عن الولادة. وبالحقيقة اذا فحصنا من هو عمانوئيل هذا في قصد النبي اشعيا نرى انهُ هو عين ذاك الذي يذكرهُ في الفصلين الثامن (ع ١٠) والتاسع (ع ٦) حيث ينزلهُ منزلة ملك بلاد يهوذا وانَّهُ من اجله يخلص هذا الملك من هجمات الاثوريّين وأنَّهُ يأتي من ذرّيَّة داود القريبة للاندثار و يكون ممتلئًا من روح الله ويسوس شعبه بالعدل وفي ايّامه يملك السلام التامّ ويفنى الشرّ من جبل صهيون والشعوب الوثنيّة ترجع الى الله افواجًا افواجًا ويأتون ويتَّحدون مع اليهود لكي يخضعوا لملك السلام هذا. فبموجب اقرار الربَّانيين انفسهم هذه المناقب هي خاصّة بالمسيح الموعود به وحدهُ فلا شكَّ اذًا ان عمانوئيل في قصد اشعيا النبي هو المسيح

والحال ان المسيح في الكتاب المقدَّس لا يُعرف لهُ اب بشري وانَّما ابوهُ هو الله كما يظهر من المزمور ١٠٩ (ع٣) والنبي ميخا (٢:٢—٣) الذي يجعل خروجه من القديم منذ ايّام الازل ويذكر امّه اذ يقول: لذلك يسلّمهم الى الزمان الذي فيه الوالدة تلد. لكنَّهُ لا يذكر اباه. وإرميا (٢١:٢٢) يعلن ولادته العجيبة من امرأة قائلًا: الرب خلق امرًا جديدًا في الارض انثى ستحيط برجل. ولا يذكر شيئًا عن ابيه. وكل ذلك خلاف عادة الكتاب المقدَّس الذي يذكر الاب مع الامّ او الاب دون الامّ. اذن «العلمه» امّ

عمانوئيل ستلده من دون مشاركة رجل وتبقى عذراء في نفس الولادة. فلا عجب ان يقول النبي بانها هي وحدها بمعزل عن الاب ستضع الاسم لمولودها وتدعو اسمه عمانوئيل

( البرهان الخامس ) من تقليد اليهود — ان ايراد متَّى الانجيلي آية اشعيا هذه تعرفنا ان اليهود في الجيل الاول للمسيح كانوا يفهمون بلفظة « علمه » البنت البكر فلو لم يعرفوا فيها نبوة على الحبل بالمسيح العجيب لما قنعوا منهُ بان مريم ولدت المسيح وهي عذراء — ثمَّ ان ترجوم يوناثان بن عوزييل يشرح لفظة « علمه » بلفظة اخرى تعادلها معنًى وهي ܒܬܘܠܬܐ اي عذراء. والترجمة السريانية للعهد القديم التي على راي بعض المتقدين عملها بعض من اليهود بنحو جيل واحد قبل المسيح تستعمل في هذه الآية لفظة ܒܬܘܠܬܐ اي عذراء عوض « علمه » العبرانية. والترجمة السبعينيَّة ايضًا التي ترجمها علماء اليهود بنحو ثلاثة قرون قبل المسيح تشرح لفظة « علمه » بلفظة παρθένος اي عذراء

نعم ان اليهود كاكويلا وسوماخوس وثيودوسيون بعد المسيح فسَّروا « عَلمه » في ترجماتهم اليونانية بلفظة νεᾶνις اي صبيَّة لا بلفظة παρθένος اي عذراء. خلاف ما ذهبت اليهِ الترجمة السبعينيَّة ولكن يمكننا ان نقول مع الآباء انَّهم في ذلك لم يخلوا من تغرُّض وانَّما قصدوا ان يضعفوا قوَّة البرهان الذي يوردهُ المسيحيون ضدَّهم في هذا الصدد. ولا حاجة ان نقول بان اليهود يتبعون اليوم ترجمة هؤلاء الثلاثة المستحدثين لكنهم بذلك يناقضون تقاليدهم القديمة

( البرهان السادس ) من تقليد المسيحيين — ان آباء الكنيسة متَّفقون برأي واحد على تفسير لفظة « علمه » بالعذراء امّ المسيح وليس ذلك استنادًا على انجيل متى فقط بل على الترجمة السبعينية التي كانوا يستعملونها والَّا لما قدروا ان يجادلوا اليهود ويفحموهم. ومما وُجد في احد الداميس الرومانية صورةٌ تثبت هذا التقليد عند المسيحيين فترى في حُجرة من مقبرة بريسقِلّا التي يرتقي تاريخها على قول العلماء الى عهد الرسل صورة مريم العذراء عليها السلام جالسةً وبحضنها الطفل يسوع وبجانبها شخص واقف بيده الواحدة كتاب ملفوف وباليد الاخرى يشير الى نجم فوق رأس العذراء والطفل فالشخص المذكور في رأي الخبيرين بفنّ العاديّات المسيحية هو النبي اشعيا فتكون هذه الصورة في النصف الأول من الجيل الثاني او قبل ذلك العهد تفسيرًا للآية التي نحن بصددها

ولو اردنا ان نورد شواهد الاباء في ذلك لضاق بنا المكان فنقتصر على ايراد بعضها من الآباء الاقدمين. قال يوستينوس في احتجاجهِ الاول عن النصارى: « اسمعوا كيف يتنبأ اشعيا بصريح الكلام عن ان المسيح مزمع ان يولد من عذراء. قال: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا » الخ. وقال ترتليانوس في كتابهِ ضد اليهود (وهو يردّ على اعتراضهم بانّ الطبيعة لا تحتمل ان العذراء تلد) ما نصهُ: « مع ذلك يجب علينا ان نصدّق هذه القضيّة استنادًا الى كلام النبي فانهُ في هذا الامر غير المصدّق قد سبق واعدّ الايمان قائلًا انهُ سيكون اعجوبة فلو لم يكن امرًا مخالفًا للمألوف لما اضحى اعجوبةً ». وعلى هذا النسق تكلم اوريجانس وابيفانيوس وغيرهما. وقال مار افرام في شرحهِ هذه الآية ما ترجمتهُ: هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويُدعى اسمهُ عمانوئيل: ان هذا ممَّا يناقض الطبيعة لانها كيف تحبل ما دامت بتولًا وان حبلت فكيف تكون بتولًا ايصحّ هذا ومن يصدّقهُ. لكن النبيّ اردف انَّ الرب نفسهُ يعطيكم آيةً. ومن حيث ان معطيها هو الله فلا تسأل عن الكيفية لانهُ ليس عند الله امر عسير »

٣ تفنيد آراء المخالفين

وقولنا السابق يظهر بنوع اجلى من تفنيد آراء المخالفين. كل رأي مخالف لرأينا في شرح هذه الآية لا يوافق مقتضى الحال ويظهر بطلانهُ كالشمس في رائعة النهار

ان بعضًا من اليهود القدماء فهموا بلفظة « علمه » امرأة آحاز الملك وبعمانوئيل حزقيا بن آحاز غير ان الاباء قد فنّدوا هذا الراي. قال هيرونيموس: ان هذا القول لا يصح لان آحاز بن يوثام ملكَ على يهوذا واورشليم ست عشرة سنة وخلفهُ ابنهُ حزقيا وكان عمرهُ حينئذٍ خمسًا وعشرين سنة اذن في السنة الاولى لملك آحاز كان لحزقيا من العمر تسع سنين. فكيف يكون هو عمانوئيل الموعودة ولادتهُ في مدَّة مُلك آحاز ان كان قد وُلد قبل ان يملك ابوهُ بتسع سنين. وهكذا يسقط هذا الرأي السخيف

كذلك من المحال ان تكون « العلمه » امرأة النبي اشعيا ولو اراد ذلك لكان دعاها اشعيا نبيّةً لا « علمه » ولكان تكلّم عن حبل اعتيادي كما يصنع في الفصل الثامن (ع ٢–٣) حيث يقول: « فدنوتُ من النبيَّة فحبلت وولدت ابنًا فقال لي الرب ادعُ اسمهُ عجّل الغنيمة وأسرع النهب ». ومن الجهة الاخرى امرأة اشعيا ام شآريشوب

(٣:٧) لا يمكن ان تدعى علمه. وباطلًا يفترض البعض ان اشعيا اخذ امرأةً اخرى ودعاها «علمه» لانهُ على رأيهم لم يكن بعد قد دنا منها وهذا اختراع لا اصل لهُ

ثمَّ لا يمكن ان يكون عمانوئيل ابن اشعيا اذ لا يصحّ فيهِ ما يقال عن عمانوئيل في الفصل الثامن (ع ٨) حيث تُجعل ارض يهوذا مُلك عمانوئيل . ولا ما يقال في العدد ١٠ حيث ورد ان جميع الشعوب تُخذَل من اجل عمانوئيل . غير ان البعض من الكاثوليك ذهبوا الى ان علمه هي امرأة اشعيا بالمعنى الحرفي لكنَّها رمز عن العذراء ام المسيح . ولكن هذا التفسير الذي تفوَّه بهِ البعض منذ زمان هيرونيموس هو باطل من اجل الاسباب السابقة فضلًا عن انهُ لا يوجد نسبة بين الرمز والمرموز وكيف الحبل والولادة الاعتيادية يكونان رمزًا مشخصًا حبلًا وولادة بتوليَّة . قال البعض ان كلام اشعيا لا يخصص امرأةً او ابنة لكن قصدهُ ان يعني بان زمان الخلاص هو غايةٌ في القرب حتى اذا حبلت الآن بنتٌ من البنات تقدر اذا ما حان زمن ولادتها ان تدعو اسم ابنها عمانوئيل من اجل معونة الله الحاضرة . ولكن هذا ايضًا باطل لان النبي لا يتكلَّم بافتراض او بشرط بل بالايجاب والتأكيد وقصدهُ هو ان يُعيّن شخصًا حقيقيًّا لا وهميًّا فكأنهُ يراهُ بعيونهِ ويشير اليهِ بيدهِ كما يستبين من قولهِ «هوذا» . ولا يمكن ان تكون «علمه» رمزًا عن اورشليم او عن صهيون او عن بيت داود كما ذهب البعض لان هذا كلهُ لا ينطبق مع الفصلين الثامن (ع ١٠) والتاسع (ع ٦) بل يُراد بها شخص حي عربون الحماية والخلاص ليهوذا وملكهِ وقتما تقرَّرت هذه الآية وفي المستقبل ستكون ام عمانوئيل

نأتي الآن الى القسم الثاني من الاعتراض فنقول: ان الإنباء بامرٍ مستقبل من نبي معلوم مؤيَّد من الله كما كان اشعيا لهُ موقع عظيم عند الذين يكونون قبلًا قد اختبروا صدقهُ وعلى الخصوص اذا كانت النبوَّة عن المسيح فهي الاجدر بان تنعش الثقة والطمأنينة في قلوب آل يهوذا لاسيما بيت داود . فالعلاقة التي نحن في صددها وان كانت مستقبلة الّا انها تعلن واضحًا عنايتهُ تعالى في شعبهِ فكأن النبي يقول: كما انهُ هو امرٌ اكيد ومحتوم عند الله بان يرسل المسيح مولودًا من بيت داود فكذلك انهُ لامرٌ مقرَّر لا ريب فيهِ انهُ تعالى يريد ان يخلص هذا البيت من هؤلاء الاعداء . فان كان الله قادرًا ان يجعل المسيح ان يولد من عذراء باعجوبة كهذه فبأولى حجَّة هو قادر ان يخلص يهوذا من هذا الخطر واذا اقتضى لذلك عجائب فهو مستعدٌ ان يعملها كيف لا وهو

قادر ان يصنع اعجوبة اعظم اعني ولادة المسيح من عذراء من دون زرع رجل

وليس هذا غريبًا عن استعمال الكتاب المقدس فاننا نقرأ فيه انهُ تعالى لكي يزيد مواعيدهُ في الزمان الحاضر ويزيدها تأكيدًا قد اعطى مرارًا عديدة علامات لا تحدث الّا في المستقبل. من ذلك ما جاء في سفر الخروج (٣: ١٢) حيث يقول لموسى: «اني اكون معك وهذه تكون لك علامة اني انا ارسلتك. اذا اخرجتَ الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل». وفي سفر صموئيل (٢: ٣٤) حيث يقول لعالي الكاهن: «وهذه آية لك تأتي على ابنيك حفني وفنحاس في يوم واحد يموتان كلاهما». وقال صموئيل لشاول (١٠: ١): «وهذه علامة لك ان الله مسحك رئيسًا اذا ما انطلقت اليوم من عندي فانك تجد رجلين». وفي سفر الملوك الرابع (١٩: ٢٩): «هكذا يقول الرب بفم اشعيا الى حزقيا الملك عن سنحاريب: وهذه هي علامة لك تأكلون هذه السنة زريعًا وفي السنة الثانية خلفةً وفي السنة الثالثة فازرعوا واحصدوا واغرسوا الكروم وكلوا ثمارها». فمن يقول ان هذه العلامات ليس لها قوة في الحاضر لانها تكمل في المستقبل. فان المريض يتقوّى رجاؤهُ ويثق بالعافية اذا سمع الطبيب يقول لهُ: انَّ يقيني بشفائك التامّ من مرضك هو عظيمٌ بهذا المقدار حتى اني بعد ثلاثة اسابيع اريد ان اخرج معك الى التنزّه

وان قيل انَّ آحاز لم يفهم معنى اشعيا عندما قرّر هذه الآية امامهُ فعلينا ان نلاحظ بان كلام النبي ليس موجّهًا الى آحاز وحدهُ لكن الى بيت داود كلّهِ وهذه العلامة من شأنها ان توطد رجاء بيت داود بما انها عن المسيح وتؤكد لهم قرب الانتصار على اعدائهم. وهي في الوقت عينهِ تشير الى ما سيصير اليهِ ملك يهوذا وبيت داود في أيّام المسيح المزمع ان يولد من هذه العائلة فيقول انَّ عمانوئيل سيعيش فقيرًا في ارض اسرائيل خارجًا عن وطنهِ ارض يهوذا لانهُ قبل ميلادهِ ومباشرتهِ بعمل الفضائل يكون الخراب استولى على تلك الارض وباد ذلك الملك بحيث تكون عيشتهُ كعيشة الرعاة الفقراء المتعودين اكل السمن والعسل البرّي. فالى هذه الدرجة من الفقر ستصير عائلة داود الشريفة عندما يأتي زمان عمّانوئيل

ولكن يقول قائل ان المسيح لم يُدعَ قط باسم عمانوئيل. نجيب: من عادة الكتاب المقدس عندما يقول عن شخص انهُ يدعى بهذا او بذاك الاسم ليس المعنى دائمًا ان ذاك

الشخص يسمى حقيقةً بذاك الاسم بل يكون او يظهر منهُ ما يعنيهِ ذاك الاسم. فهكذا اشعيا (٩: ٧) يقول عن الصبي الذي وُلد لنــا: يدعى اسمهُ عجيباً مشيرًا إلهًا قادرًا ابا الابدية فهل يمكن ان تكون هذه كلها اسماء صبي واحد لا لعمري بل انما المعنى انهُ يكون كذلك اي عجيباً مشيرًا. وفي لوقا قال الملاك لمريم عن اليشباع (١: ٣٦): «هذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقرًا». ومن المعلوم ان اليشباع لم يكن اسمها عاقرًا بل كانت عاقرًا. وهكذا ارميا (٢٣: ٥-٦): «ها ايام تأتي يقول الرب واقيم لداود فرعَ برٍ فيملك ملك... في ايامهِ يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل مطمئنًا وهذا هو اسمهُ الذي بهِ يدعونهُ الرب برّنا». والحال ان اسرائيل لم يدعَ قط «الرب برّنا». وفيهِ (٤٦: ١٧): «ادعوا فرعون ملك مصر: الميقات جلب الهلاك». وامثال ذلك كثيرة في الاسفار المقدسة فهذا كلّهُ يثبت ان الاسم في الكتب الالهية كثيرًا ما يشير الى ما سوف يفعل الشخص المسمّى بهِ او الى ما سوف يظهر منهُ

فعلى هـذا النسق يدعى المسيح عمانوئيل ليس فقط لانهُ يأتينا بمعونة الله او لانهُ يعدنا بهـذه المعونة في شخصهِ كأنهُ عربون لها بل لانهُ هو حقًّا الله معنا اذ يشير الى سرّ التجسد بنوع لا مثيل لهُ اعني الى اتحاد اللاهوت بالطبيعة البشريَّة في المسيح. فمعنى «عمانوئيل» انَّ الله اتخذ الطبيعة البشريَّة اي انَّهُ صار انسانًا وخلاصة القول انَّ الكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا اذ ان صورة الله وصورة العبد اتحدتا في ابن واحد واقنوم واحد. قال يعقوب السروجي في ميمر لهُ على الكنيسة ما ترجمتهُ: «ان لفظة عمانوئيل تعطيني معنيين اي انهُ إله وانسان حقًّا. فقوله «عمّان» (معنا) يدل على الطبيعة التي منّا وقولهُ (إيل) يوضح عن اللاهوت الذي فيهِ بلا انقسام. فعمانوئيل هي عبارة عن إله انسان لا كأنهُ ممتزج لكن بما انهُ كامل بالجهتين»

واذا كان الامر كذلك فبكل صواب قد اورد الانجيلي متى هذه الآية مقررًا انها كملت في يسوع الناصري وامهِ العذراء مريم

# تسريح الابصار

## في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

### كنائس لبنان القديمة (تتمة)

بقي علينا ان نذكر القسم الثالث من الكنائس المارونيّة اعني دار الكنيسة او صحنها. فكانت هذه الدار خاليةً في دائرها من الكراسي التي ترى في الكنائس اليونانيّة. وقد بيّن الدويهيّ سبب ذلك قال (راجع منارة الاقداس ١: ١٢١): « اباؤنا اصحاب الكرسيّ الانطاكيّ اهملوا نصب الكراسيّ واوجبوا على نفوسهم ان يصلّوا وهم قيام كقول الرب: اذا قمتم للصلاة قولوا ابانا الذي في السماوات... وقد اخبرتنا التواريخ عن تلاميذ ابينا المكرَّم القديس مارون انّهم قضوا كل حياتهم منتصبين على اقدامهم ليلًا ونهارًا (١ وانقسموا جوقين امام الباب الملوكيّ... امّا الكهنة والشمامسة فيستندون الى العكّازات لمساعدة الجسد الضعيف ما خلا الرؤساء. فانّهم يجلسون على الكرسي للدرجة التي ارتفعوا اليها» وكان المؤمنون خصوصًا الضعفاء منهم يتّخذون ايضًا العكّازات كما روى ذلك الدويهيّ في محلّ آخر من كتاب المنارة (١: ٦٠، ٦١)

وكانت الدار المذكورة تشتمل على « القراءات والمنابر واجران المعموديّة واجران الماء المبارك والمراني وبيض النعام والنواقيس وما شاكل ذلك ». امّا ترتيب كل هذه الاشياء فكان على هذا النمط » : «تقام اوّلًا قرّاءتان امام الدربزين من ههنا وهناك لاجل تلاوة الصلاة الجامعة التي تصير ليلًا ونهارًا وعليهما تتلى الكتب المقدّسة وميامر

١) ورد في التاريخ انّ صنفًا من النسّاك فرضوا على نفوسهم تقشّفًا ان يعيشوا طول حياتهم قيامًا فدُعوا لذلك الرهبان المنتصبين (Stationnaires) راجع معجم اللاهوت الكاثوليكيّ (١: ١١٤٠). اشهرهم تلامذة مار مارون. (راجع تاودوريطوس: تاريخ الرهبان .PP. GG. T) (LXXXII, 1419, 1431 ومن هؤلاء النسّاك من جعل لهُ عمودًا فصعد عليهِ كالقديس سمعان العمودي وغيره

الآباء وسنكسارات الشهداء. (ثانياً) امَّا المنابر التي تُنصب في الدار فبعضهم يقيمونها في اسفل البيعة وآخرون في وسطها والبعض في شمالي الدربزين لتقرأ عليها الرسائل والاناجيل والوعظ وزياح الميرون والشهداء وامثالها... (ثالثاً) يوضع في الدار جرن المعمودية. وكان يُنصب من قديم بخارج الكنيسة او في دهليزها لكي لا يدخل البيعة ألامن كان ابن النور. ألا انهم ادخلوهُ الى الخزانة لانهُ هناك يُحفظ تابوت الرازات (اي الاسرار) كما ترى ذلك في هيكل مار سابا بمدينة بشراي (١. ويُعلَّق فوق الجرن تمثال حمامة دلالة على استقرار الروح القدس. ويُتخذ الجرن من الحجر. (رابعاً) توضع في الدار اجران لاجل الماء الذي نباركهُ في الغطاس وفي تقديس البيعة وغيرهما. (خامساً) تعلق في الدار المراني المدوَّرة وبيض النعام». وهنا للدويهي بعض تفاسير رمزيَّة نُحيل القرَّاء الى مطالعتها في كتابه. ثم قال: «(سادساً) توضع النواقيس في الدار تنبيهاً للمؤمنين للاجتماع للصلاة»

يظهر ممَّا سلف ان الشعب لم يجلس في الكنيسة على الكراسي وانهُ كان يحضر الاسرار منتصباً. لكن ذلك لم يصدّ المؤمنين عن الركوع. وللبطريرك العلامة الدويهي فصلٌ مطول (ص ٦١) يبحث فيه عن انواع السجود والركوع. على ان الجثوّ على الركب كان معتبراً كضرب من التعبد والاماتة وانما الانتصاب هو هيئة المصلّين الرسمية في الرتب الطقسية

وقصارى القول ان الكنائس المارونية كانت تتفق مع الكنائس اليونانية (او بالاحرى مع اليونانية واللاتينية معاً) في الخواص العمومية ولها مع ذلك فوارز تفصلها عمَّا سواها بحيث يحكم صاحب الخبرة اذا رأى ما سبق لنا وصفهُ من طرائق بناء البيع وانواع هندستها الخارجة وتنظيم اقسامها ونقوشها. أن للموارنة في سالف الزمان هندسة كنسيَّة خاصة بهم. وكنَّا وددنا لو لم يَحِد بناةُ الكنائس الحديثة لا سيَّما منذ مائتي سنة عن تقليد آبائهم القديم. وغاية ما نتمنَّاهُ أن تُحفظ الآثار الباقية منها لئلَّا

---

١) وجاء في كتاب التكريسات (ص ٢٣) انهُ يُفتح حينئذٍ باب خارجيّ «حتَّى تدخل النساء وتخرج بالسترة»

يستولي عليها الخراب. وهذا ما حملنا على كتابة هذا الفصل في كنائس لبنان القديمة (١

وان سأل السائل في اي عهد شاعت في لبنان هذه الطريقة الهندسيَّة القديمة. أجبنا انَّ الامر لا يخلو من الغموض والشبهة. ومما يمكننا قوله انَّ اكثر هذه البيع شُيّدت قبل القرن الثالث عشر. وكان بناء بعضها في أيَّام الصليبيين على مثال كنيسة جُبيل. وهذا رأينا في كنيسة مار شربل في معاد وغيرها ايضاً من الكنائس. كما رواه المؤرخ المدقق الدويهي حيث قال: (ص١٠٣) « وفي سنة ١١١٢ شرع بعض اهل البرّ يبنون كنائس... وكان للخوري باسيل البشرَّاني ثلاث بنات تقلا وصالومي ومريم نذرن العفَّة وانفقنَ جميع ما يمكن على بناء الكنائس. امَّا تقلا فبنت في بقرقاشا هيكل مار جرجس ومار دومط. وفي بشنين من ارض الزواية كنيستين احداهما على اسم القديس لابا الرسول والثانية على اسم القديس سركيس الشهيد ثمَّ رقدت بالرب سنة ١١١٣. امَّا اختها مريم فبنت هيكل القديس سابا في قرية بشرّاي. وصالومي انشأت هيكل القديس دانيال في قرية الحدث »

ويرتقي بعض الكنائس اللبنانيَّة الى عهد أسبق فمنها ما بُني القرن التاسع او الثامن ايضاً كبيعة كفر شليمان التي نعدُّها من اقدم كنائس لبنان. ومثلها كنيسة مار ماما في اهدن (راجع قول الدويهي فيها في المشرق ص ١٠٧٥). وليس قولنا هذا الَّا اجماليًّا. ولو اطَّلع احد المهندسين الخبيرين على هذه الابنية امكنهُ ان يزيدنا ايضاحاً في تعيين زمن بنائها

☆

هذا ونغتنم هنا الفرصة لتكرار ما اثبتناهُ في السنة الاولى من المشرق (ص ٢٦١) في مقالة حُرّرت تحت عنوان: « هيَّا بنا على درس تاريخنا ». فكان من جملة البنود التي اقترحناها على جمعيَّة طلبنا انشاءها في كلّ طائفة (ص ٢٨٣) « ان تعتني بخطّ الصور القديمة في الكنائس... وتهتمّ بحفظ هذه الكنائس نفسها »

فلم نرَ حتى الآن تشكيل لجنة تقوم بهذا المشروع ولعلَّهُ لم يفتكر احدٌ في تأليف

١) وهنا نكرّر طلبنا الى قرَّائنا بان يفيدونا علماً عن الكنائس التي لم نذكرها في هذه المقالة ولا بأس ان يستدركوا علينا في ما يرونهُ خللاً لنصلحهُ

هذه الشركات الطائفيّة لتبرز الى حيز الوجود قسماً من هــذه المقترحات. امّا العلماء الاوربيون فانهم تلقّوا فكرتنا في تنظيم مثــل هذه الجمعيات بما لا مزيد عليه من الرعاية والالتفات وعدا الامر باحد كبار المستشرقين الالمانيين وهو الدكتور ج. كيفماير الذي ذكرناهُ غير مرّة في مجلّتنا الى ان كتب فصلاً في « نشرة الآداب الشرقيّة » (١ يستلفت فيه الانظار الى مقالتنا بل زاد على ذلك انهُ نقل الى الالمانيّة هذه النبــذة وألحقها بملاحظات نورد منهــا شيئاً ليرى اهل بلادنا ما يبني الاوربيّون من الآمال على تأليف جمعيّة كهذه. قال الدكتور ما تعريبهُ:

« لا حاجة ان نبيّن لقرائنا ما ينجم من الفوائد الجمة من تشكيل جمعيّة تاريخية في سوريّة كما وصفها الاب لامنس. بل يأخذنا العجب من عدم انشائها حتى الان لاسيما انّ بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيهــا الآثار التاريخية الدفينة التي يتوق الى كشفها العلماء. فنحن نوافق كاتب هذه المقالة في ما اقترحهُ من انشاء مكتبة مركزيّة في سوريّة لدرس تاريخ البلد وهذه المكتبة لا بُدّ ان تجمل فيها كل الكتب الادبيــة واللغويّة والجغرافية التي تشتمل على احوال بلاد الشام وان يُلحق بها متحف للآثار الى غير ذلك من التنظيمات التي عدّدها صاحب مقالة المشرق. ولا نشكّ في ان الذين يبحثون عن شؤون البلاد الشامية يتهللون فرحاً اذا ما تحققت اماني حضرة الكاتب

« ونحن الاوربيون نبني آمالاً طيّبة على تنظيم جمعيّــة تاريخية يكون اعضاؤها شرقيين. لان ابناء الوطن يمكنهم ان ينالوا بزمن قليل ما لم ينلهُ الغرباء بعد الجهد الجهيد واذا تشكّلت هذه الجمعية الوطنية بادرت الجمعيّات الاوربية الى مكاتبتها فتقوى بذلك على اتمام مشروعات علمية ذات شأن خطير »

هــذه شهادة اثبتناها ليرى القراء ما للعلماء الاجانب من الكلف بامور الشرق. وبا ليتنا لا نتأخر عن تلبية دعوتهم فلا نخيب آمالهم فينا

وفي ختامنا هذه المقالة التي خصّصناها بذكر الكنائس القديمة في لبنان كنّا وددنا لو أمكننا ان نوصي هذه الجمعيات التي نطلب انشاءها منذ سنتين بالمحافظة على هذه المعابد القديمة قبل ان يستولي عليها الخراب. وعلى كلّ حال اننا نوجه دعوتنا الى ذوي

---

(١ راجع (Orientalis tische Litteratur-zeitumg)

الامر طالبين اليهم ان يصونوا هذه الآثار ولا يدعوا يدًا اثيمة تصيبها باذى . واذا مسّت الحاجة الى ذلك فليصلحوا منها ما خرب مع مراعاة هندستها القديمة . فان هذه كانت وصيّة المثلّث الرحمات البطريرك بولس مسعد الذي كان حريصًا على حفظ تلك المآثر الناطقة بمفاخر ملّته في غابر الازمان . على انّنا نقرّ بكل سذاجة انّ معظم خوفنا من البُناة المحدثين الذين يتخيّلون ان هذه الابنية لا طائل تحتها فيخربونها لاتخاذ موادّها او لتجديدها كما يزعمون وهذه الطامّة الكبرى . فيا حبذا لو امكننا بما سطرناهُ في هذه المقالة عن كنائس لبنان ان نكفّ يد الدمار عن بقايا الزمن القديم فان اصبنا المرام لا نتأسف على الاتعاب التي تجشّمناها لهذه الغاية الشريفة

# علم النجوم على عهد الخلفاء

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي (تابع لما سبق)

### ٣ الفوائد التي نالها العرب بعلومهم الفلكيّة

انّ الاوصاف السابقة لآلات العرب الرصديّة بيّنت للقرّاء ما لعلمائهم من الفضل في العلوم الفلكيّة . وكأنّي بسائل يوقفني عند هذا الحدّ ليسأل وما هي النتائج التي توصّل اليها العرب بهذه الدروس التي انقطعوا اليها والى أي غاية بلغت سعة علومهم وهل تمكّنوا من اكتشاف شيء جديد كان يجهلهُ اسلافهم

جوابنا على هذا المطلوب لا يمكنهُ ان يكون تامًّا مستوفيًا ريثما يكتشف العلماء كل ما كتبهُ العرب من هذا القبيل وان قابلنا بين الكتب التي تصان الآن في الخزائن الكتبيّة وما ذكرهُ المؤرخون من تآليف العرب وجدنا انّ العدد المعروف لا يبلغ نصف المفقود . مع انّ الكتب التي تتضمنها المكاتب العموميّة لا سيّما باريس ولندرة وليدن والاسكوريال والقاهرة هي تصانيف واسعة في علم الفلك يلحق بها في الغالب ازياج وجداول حسابية غاية في الدقّة . مثال ذلك تآليف ابي الوفاء والبيروني والبتّاني والفرغاني ونصر الدين الطوسي وغيرهم

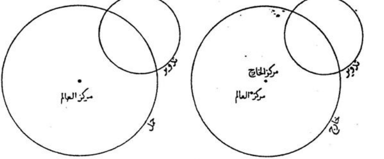
وعلاوةً على ذلك لا تخلو هذه التآليف المعروفة نفسها من مشاكل عديدة فانّ منها

ما يجمع بين الغثّ والسمين ويخلط ما قرّرهُ العلم الصادق بخرافات التنجيم فلا بُدَّ اذن من إفراز وتمييز لسَبْر غور هذه المؤلفات بمعيار الانتقاد

ثمَّ تجد في مطالعة تلك التصانيف القديمة صعوبة أُخرى ألا وهي إدراك معانيها الصحيحة لانَّ للاقدمين اصطلاحاتٍ خاصة تشتبه على من ليس هو متخرجاً في آداب الاقدمين متضلعًا بتعابيرهم ومدلولاتهم

على أنّنا لا نأبى ان نفيد قرّاءنا شيئاً ممّا تحقّق لدينا بمطالعة بعض هذه الكتب الفلكيّة التي نشرها كبار المستشرقين الاوربيين مع نقلها الى اللغات الاوربيّة وتذييلها بحواشٍ مفيدة نخصّ بالذكر كتاب المجسطي لابي الوفاء البوزجاني الذي بحث فيه سديليو (Am. Sédillot) ثم كارا دي ڤو (C. de Vaux) وكتاب الآثار الباقية للبيروني المنشور والمترجم بهمّة الدكتور ساخو (E. Sachau) وتقويم البلدان لابي الفداء مع ترجمته الى الافرنسيّة للعلامة رينو (Reinaud) والمختصر في علم الهيئة للجغميني طبعة الدكتور ر. هوخيم (R. Hocheim) والزيج الحاكي لابن يونس (Notices et Extraits VII) وجامع المبادئ والغايات لابي الحسن المرّاكشي نقلهُ الى الفرنسية سديليو والزيج الصابئ الذي جدّد طبعهُ الدكتور نلّينو (راجع المشرق ٣: ٧١٧) وغير مطبوعات جليلة لا حاجة الى تعدادها

فمن هذه المصنّفات يمكننا ان نتبيَّن ما بلغ اليهِ العرب من علم الافلاك وهاك ملخَّصهُ: كان علماء العرب يعتبرون الارض كمركز العالم على رأي قدماء اليونان. ويظنّون انّ الافلاك جمعاء تدور حول هذا المركز الثابت بحركات غاية في النظام. لكنّهم ما لبثوا ان لحظوا انّ في هذه الحركات المنتظمة بعض اختلافات كقصر الأيام وطولها لاختلاف ساعات شروق الشمس وغروبها وكتخلّف القمر او تسابقهِ على الاوقات المحسوبة وكانحرافات السيّارت في دورانها الى غير ذلك من الاختلافات التي استلفتت انظار العرب ودلّت الفلكيين منهم على انّ هذه الاجرام العلويّة لا تدور دورًا بسيطًا حول الارض لكنّ لها تدويرًا (épicycle) خاصًا ولهذا التدوير مركز آخر يدور حول دائرة ثانية دعوها حملًا (déférent). والحمل المذكور يكون تارةً ذا مركز واحد مع مركز العالم او يكون خارجًا عنهُ. فان كان خارجًا جاز لمركزهِ ان يدور حول مركز العالم (راجع الشكل الاول في الصفحة التالية)




الشكل الاول

فمن ثمّ ترى كيف امكن العرب بهــذه الافتراضات ان يشرحوا الاختلافات التي وجدوها في حركات الكواكب والافلاك. وذلك انّهم كانوا يجمعون بين هذه الدوائر ويجعلون لها سرعات وسهاماً معلومةً فتوصّلوا بذلك الى ان عرفوا الاختلافات الطارئة على حركات الافلاك قبل حدوثها. ولكن هلمّ بنا نفصّل بعض هذه الخواصّ الفلكيّة

١ (الشمس). قد بحث العرب بحثاً مدققاً عن دائرة الشمس ومواقعها من منطقة البروج وعنوا ذلك بغاية الاعتناء. ومن اعمالهم التي بلغتنا جداول واسعة صنّفوها عرض الشمس وميلها وانحراف فلك البروج بالنسبة الى خطّ الاستواء والجداول المذكورة لا تكاد تختلف عمّا وجدهُ المحدثون بآلاتهم الجديدة. وممّا ادركهُ علمهم انّ هذا الانحراف ينتقص بالتدريج. والدليل على ذلك انّ الازياج التي اصطنعها العرب في القرن التاسع للميلاد تجعل هذا الانحراف ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة امّا زيج اولغ بيك فانّهُ جعلهُ ٢٣° و٣٠′. لكنّني لا اظنُّ انّهم عرفوا الاختلاف القرنيّ او عيّنوا قدره البالغ ٤٨″. ومن معلوماتهم ايضاً انّهم اثبتوا حركة الحضيض (périgée) ومبادرة الاعتدالين (la précession des équinoxes) كما انّهم قاسوا نسبة قطني فلك الشمس ودوام السنة الشمسيّة. امّا عظم جرم الشمس وبعدها فقد وهم فيهما العرب وهماً عظيماً

٢ (القمر) لا يخفى ما للقمر من الاعتبار في البلاد الشرقيّة. فانّ التاريخ الهجريّ

الذي عليهِ تجري الدول الاسلامية في سنتها واعيادها واصوامها انّما هو قمريّ فاقتضى الامر ان يبحث ارباب الفلك عند العرب عن هذا الجرم العلويّ وإهلالهِ ووجوههِ وحركاتهِ. بيد انّ حركات القمر عديدة مضطربة فهل وقف العرب على اسرارها. ذلك مبحث تباحث فيهِ مدَّةً اصحاب المجمع العلميّ في باريس. فمنهم من اثبت ومنهم من انكر. وما لا مراء فيهِ انَّهم استدلّوا على بعض حركاتهِ وانّما نقطة الجدال بينهم كانت على اكتشافٍ يُنسب الى الفلكيّ تيخو براهي فادَّعى سديليو انّ العرب سبقوا الى معرفة هذه الحركة. وهذه خلاصة الجدال بينهم:

انّ لحركات القمر اختلافاتٍ جمّة يطرأ بعضُها على طولهِ وبعضُها على عرضهِ وكلامنا هنا عن اختلافات الطول. فاذا افترضنا ان للقمر دورانًا متساويًا وحسبنا على مقتضى هذه الحركة وقت اقترانهِ واستقبالهِ وجدنا ان نتيجة الحساب لا توافق الرصد وهذا اختلافٌ اوّل يدعونهُ «معادلة المركز» (équation du centre). ثمَّ اذا اصلحنا الحساب بمراعاة هذا الاختلاف وجدنا اختلافًا ثانيًا الّا انهُ في التربيعات وهو يُدعى «معادلة الاعتقاف» (évection). وبعد استدراك الخلل تجد اختلافًا ثالثًا بين التربيع والاقتران يُعرف بالتقلُّب او بالمحاذاة (variation). ويبقى اخيرًا اختلاف وهو المعادلة السنويَّة

وكان اليونان عرفوا قسمًا من هذه الاختلافات. وكذلك العرب بعدهم. فدونك شرحهم في ذلك (اطلب الشكل الثاني ص ١١٢٤):

ان فرضنا ان للقمر حركةً على تدويرٍ يرسم مركزُهُ حملًا ذا مركزٍ مختلف عن مركز الارض فمركز هذا التدوير يجتاز مرَّتين في كل دورة شهريَّة قانونيَّة في ذروة الحمل عند وقوع الاستقبال والمقارنة المتوسطين ومرَّتين في الحضيض في وقت التربيعات المتوسطة. فتتعيّن بهذه الحركات اشعَّة التدوير والحمل والمسافة بين مركز الحمل والارض. فعلى هذه الطريقة فسَّر العرب الاختلافات التي تظهر عند الاستقبال والمقارنة وفي وقت التربيعات

امَّا الاختلاف الذي يجري بين التربيع والمقارنة فلا بدَّ لشرحهِ من القول بانحرافِ خطّ الذروة والحضيض عن التدوير المذكور. فان هذا الخطَّ بدلًا من ان يمرَّ مطلقًا بمركز الخارج يُجعل طرفهُ في نقطة يدعونها محاذاةً موقعُها في الجانب الاخر من الارض مسافة

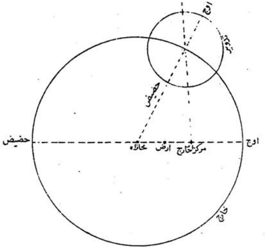
بعدها كبعد مركز الخارج. وهذا الاختلاف كان بطلميوس القلوذي يدعوهُ انعطافاً (πρόσνευσις)

لكنَّ هذا الاختلاف كما ذكرهُ بطليوس ووصفهُ العرب ليس هو الَّا اصلاحاً للمعادلتين الاولين ولا يشبهُ المادلة الثالثة التي اكتشفها تيخو براهي الفلكي الدنمركيّ في القرن السادس عشر فدعاها «تقلُّباً» وهو اكتشاف مهمٌّ نالَ بهِ تيخو براهي شرفاً عظيماً

ولمَّا كانت سنة ١٨٣٦ اعلن الشهير سديليو في المجمع العلميّ الباريسيّ انَّ أبا الوفاء البوزجاني سبق تيخو براهي الى هذا الاكتشاف بستَّة قرون وذلك في كتاب شرح المجسطي في الباب العاشر من مقالتهِ عن القمر فزعم سديليو انَّ أبا الوفاء زاد على ما كتبهُ بطلميوس واكتشف معادلة التقلُّب

فكان لهذا الخبر وقعٌ عظيم في قلوب السامعين وابتدأ من ثمَّ جدال عنيف في شرح مقالة ابي الوفاء. وبقي الامر مُبهماً الى سنة ١٨٩٢ حيث اثبت العلاَّمة دي ڤو (C. de Vaux) ببراهين ساطعة اوضحها في المجلَّة الاسيويَّة ان سديليو لم يُحسن شرح نصّ ابي الوفاء. وانَّ تيخو براهي اوَّل مكتشف «التقلُّب»

وان سمح لي القرَّاء صادقتُ على ما كتبهُ دي ڤو فقلتُ انَّ سديليو في محاماتهِ عن ابي الوفاء لم يحسن فهم اللفظتين اللتين أتى بهما ذلك الكاتب الشريف وهما «تسديس» و «تثليث» فزعم ان معناهما ثُمن درجات الدائرة (octants) وهو شرح مخالف لمنى الالفاظ. وعليهِ فان قول ابي الوفاء «والاختلاف الثالث يكون معظمهُ في التثليث والتسديس» ليس معناهُ كما زعم سديليو انَّ هذا الاختلاف يكون في ثُمن درجات الدائرة. ولو كان سديليو وجد في نسخ ابي الوفاء الخطيَّة الاعداد الدالَّة على التثليث والتسديس لما كان الامر اشتبه عليهِ الَّا انَّ هذه الاعداد لم تُرقَم في نسخ المجسطي لابي الوفاء. وقد اسعدنا الحظ على وجودها في احدى الكتب الخطيَّة المصانة في مكتبتنا الشرقيَّة. وهو كتاب توضيح تذكرة نصير الدين الطوسي للنيسابوري. فان مؤلف هذا التوضيح يتبع شرح المجسطي لابي الوفاء ويستشهد بهِ مراراً. وقد اضاف الى لفظة تثليث العدد ٥٥ والى لفظة التسديس العدد ١١٠ فيظهر من ثمَّ جليًّا انَّ سديليو وَهَمَ في شرح هاتين اللفظتين لان العددين المذكورين لا يدلَّان على ثُمن الدائرة




الشكل الثاني

الّا انّ ما قلناه لا يبخس بقدر ابي الوفاء وفلكيي العرب. ولو لم يكن لهم من الفضل في تعريف حركات القمر سوى وصف وجوهه باتقان لكفى

٣ (الخسوفات والكسوفات) لدينا جداول عديدة تحتوي ارصاد العرب للكسوفات والخسوفات وتبيّن طريقتهم لتعيين اوقاتها: امثال ذلك اربعة ارصاد ذكرها ابن يونس في الزيج الحاكميّ رصدان في بغداد ورصدان في مصر

واوّل رصد كان في بغداد هو كسوف شمسيّ حسبهُ ابو حسن علي بن اماجور التركي على زيج حبش العربي في شهر شعبان سنة ٣١١ هـ (١١ تشرين الثاني ٩٢٣) قال ابو الحسن ما حرفهُ (Notices et Extraits VII, p. 131) :

رصدناه جماعة وتبيّناه تبيّنًا حسنًا وكان حزر الجميع لوسط الكسوف وارتفاع الشمس شرقًا ٨° وانجلاؤها على ساعتين وخُمس زمانيّة والارتفاع ٢٠ ورصدنا اياه كان خلال الطارمة (؟) في مواضع عدّة وكان حزر ابي الحسن لوسط الكسوف في منزله وارتفاع الشمس ٨° وكذلك حزرتهُ انا في منزلي قبل مجيئه وكان مقدار الكسوف من قطر الشمس النصف والربع يكون وسط الكسوف الذي حزرناه وارتفاع الشمس ٨° والماضي من الساعات الزمانيّة ٠,٥٠ والذي دار من الفلك ١٠,٤٠ والذي بين وسط الكسوف والانجلاء على هذا الرصد من الساعات الزمانية ١,٢٢ فاما المستوية فلأن الذي دار من الفلك وقت الانجلاء ٩,٢٨ يكون ساعات معتدلة ١,٥٣ ويكون

من الوسط الى الانجلاء من الساعات المتدلة ١,١٠ وكان الوسط على ساعات معتدلة ٠,٤٣ وكان الذي بين ما خرج به حساب حبش بجداول الاجتماع المعدل الزمان اما في الوسط من الساعات المستوية ٠,٣١ وفي الانجلاء ٤٤ تقدم الحساب في الزمان (كذا) الوقت المرصود

وكان الرصد البغدادي الثاني وهو كسوف قمري حدث في ١٥ محرم ٣١٣ (١١ نيسان ٩٢٥) قال ابو الحسن :

ان القمر انكسف كله ثم ذكر ازمنته الخمسة ثم قال : رصدت هذا الكسوف وكان ابتداؤه وارتفاع الرامح مشرقاً ١١ وآخر الانجلاء وارتفاع النسر الواقع ٣٦ . ثم قال : يكون الابتداء على هذا الرصد والذي مضى من الليل من الساعات الازمانية ٥٥,٠ تأخر الرصد عن حساب الممتحن بزيج حبش ٢٣,٠ من ساعة زمانية وآخر الانجلاء بالرصد على ٣٦,٤ ساعة زمانية تأخر الرصد عن الحساب ٧,٠ من ساعة زمانية

امّا الرصدان المصريّان فكان اوّلها كسوفاً شمسيّاً في ٢٩ شوّال سنة ٣٦٧ (٨ حزيران ٩٧٨) رصده ابن يونس قال :

كان أكثر ما انكسف من قطر الشمس خمس اصابع ونصفاً على حسب التحزي (؟) يكون من بسيط دائرتها اربع اصابع وعشر دقائق وكان ارتفاع الشمس حين تبيّن من كسوفها شيء يدركه البيان ٥٦ بالتقريب وكان تمام انجلائها حين كان ارتفاعها ٢٦ او نحوها وكانت الشمس والقمر معاً في هذا الكسوف في قريب من بُعدهما الابعد وبالله التوفيق

والرصد الثاني خسوف قمريّ رصده ايضاً ابن يونس في شوّال سنة ٣٦٩ (٣ أيار ٩٨٠) . قال :

اجتمع لرصد هذا الكسوف جماعة من اهل العلم فادركوا اثر الكسوف وارتفاع القمر ٤٧ وثلثان وانجلى والباقي من الليل نحو ثلاثة اخماس ساعة معتدلة وكان اجتماعنا لرصده في مسجد ابن نصر بالقرافة

فقد لحظ القارئ انّ الراصد البغدادي وجد اختلافاً بين الحساب والرصد لانّ الحساب لم يكن تامّ الضبط . قال ابن يونس بعد ذكر هذه الارصاد : « قد ذكرت كسوفات عدّة حسبها العلماء ورصدوها فخبّروا عنها بمخالفة العيان للحساب بالزيادة والنقصان في الزمان تارةً والموافقة تارةً وهذا يدلّ على فساد الاصول التي منها تُحسب الكسوفات » . ولم يُفِدنا ابن يونس عن ارصاده الخاصة اكانت صحيحة او مختلّة . وعلى كل حال انّ للعرب فضلاً عظيماً في مباشرة هذه الارصاد وتعيينها وان وقع بعض الخلل في حساباتهم لوعورة هذه المباحث . وشتّان بين ابحاثهم هذه العلميّة وجهل بعض

اهل زماننا الذين نراهم حتى الآن يعتقـدون بالتنين المفترس للقمر ويظنون انهم بضوضائهم يكفون أذاهُ

٤ (السيّارات والكواكب) لم يكن القدماء يعرفون من السيّارات ألّا السبع الشهيرة التي تبصرها العين وكانوا يعجبون من حركاتها غير المنتظمة. وللعرب في تآليفهم الفلكيّة فصل او فصول يبحثون فيها عن السيّارات وهم يشرحون حركاتها بتداوير او احمال وقد رصدوا ايضًا اقترانها بدقّـة وحسبوها كما اثبت ذلك ابنُ يونس في كتابه الزيج الحاكي

امّا الكواكب فقد رسم العرب أعراضها واطوالها وصعوداتها المستقيمة فعيّنوا بضع مئات منها. وكثير من اسمائها العربية لا تزال مستعملة في اصطلاح الفلكيين الاوربيين وجداولهم كالدبران (Aldébaran) ويد او إبط الجوزاء (Bételgeuse) والنسر الطائر (Althair) وكذلك عدّة الفاظ فلكيّة كالسُّموت (azimut) وسمت الرأس (zénith) والنظير (nadir) والعضادة (alidade)

٥ (الارض) انّ لمساحة الارض وتعريف مواقع البلاد والمدن علاقةً مع العلوم الفلكيّة. والعرب لم يهملوا درس كرَتنا الارضيّة لاسيّما بعد ان فتحوا الفتوحات الكبرى ومدُّوا سلطتهم على قسم كبير من المعمور. وقد اشتهر من جملتهم رحّالون كثيرون طافوا البلاد وجابوا الامصار ودوَّنوا أسفارهم في أسفار رحلاتهم التي بلغنا منها عدد كبير فمنهم من توغّلوا في صحارى افريقية ومنهم من ركبوا البحار فزاروا الجزائر المجهولة كدغسكار وجزائر الهند وبلغوا حدود الشرق الاقصى كابي زيد وسليمان التاجر والمسعوديّ وابن حوقل وابن سعيد المغربيّ وابنِ جُبير وابن بطوطة والادريسيّ. وفي اوصافهم للبلدان تراهم يدلُّون على اعراضها واطوالها بدقة لا يكادون يغلطون في تعريف درجاتها اللهمَّ ألّا بدقائق قليلة

وكانت طريقتهم لمعرفة عرض البلدان كطريقتنا اعني انّهم كانوا يرصدون علوّ القطب فوق الافق فيدلُّهم ذلك على عرض البلدُ لانّ هذا العلوّ والعرض سيَّان. امّا طول البلاد فلم يمكنهم ان يعينوهُ كما نفعل اليوم بمقياس الزمان (Chronomètre) لكنّهم التجأوا الى طرائق أُخرى مكّنتهم من هذه الغاية فكانوا يرقبون في بلدٍ بعض الظواهر الجوّيّة كاقتران الكواكب او خسوف القمر ثمّ يلحظون زمن ظهور هذه الحوادث في

بلد آخر فيستدلون على طول هذا البلد بلحظهم فرق الساعات . امّا مبدأ الطول فكان العرب جعلوهُ في الدرجة ٩٠ من قبّة ارعين . فجعلهُ بعضهم في الجزائر الخالدات وبعضهم عند ساحل القارة الافريقيَّة في شرقي هذه الجزائر على بعد بعض درجات منها . ولذلك ترى بعض اختلاف في تعيين درجات الطول في كتبهم

ثمَّ لا يخفى انَّ قياس الارض يستدعي قياس قوس دائرة نصف النهار . فالعرب لم يستنكفوا عن هذا العمل الجليل وجرى ذلك في عهد المأمون كما روى ابن يونس في كتاب الزيج الحاكمي ( ص ٩٤ ) :

وذلك ان المأمون كان وكل بهذا الامر الخطير الى سند بن علي وخالد بن عبد الملك فقاسا درجةً من الارض بين افامية وتدمر فوجدا قياسها ٥٧ ميلًا . وكذلك فعل علي بن عيسى وعلي بن البحتري فكان قياسها كقياس سند وخالد ...

واخبر حبش في كتاب الرصود الدمشقيَّة انَّ المأمون امر هؤلاء المذكورين بقياس دائرة من دوائر الارض فتقدَّموا في بريَّة سنجار ريثما بلغ ارتفاع دائرة نصف النهار المرصود في يوم واحد درجةً واحدة ثمَّ رصدوا المسافة بين المكانين فكانت ٥٦ ميلًا وربع ميل بحساب كلّ ميل ٤٠٠٠ ذراع من الذراع السوداء

على ان هذه الاقيسة مع دقّتها لا تخلو من بعض الابهام لاختلاف طول الميل في الزمن القديم فلا يمكننا ان نختبر صحّتها

وكان حقّ هذه الاقيسة ان تُنقل في رسوم هيئة الارض لتعريف مواقع البلاد كما يفعل العلماء في ايّامنا برسم الخارطات . والعرب باشروا ذلك لكنَّهم لم يتوصلوا الى اتقان هذا الفنّ ولعلَّهم لم يحكموهُ لجهلهم فنَّ التصوير . وقد ألحقنا بمقالتنا هذه صورة خارطة قديمة وجدناها في احد كتب مكتبتنا الشرقيَّة فرسمناها بالوانها الاصليَّة ليرى القرَّاء الى اي غاية بلغ العرب من هذا القبيل

وفي الختام لا يسعنا الَّا ان نثني على هيئة العرب الذين فاقوا بعلومهم الفلكية كثيرين من الامم الشرقية فتقفَّوا آثار علماء اليونان وزادوا على معارفهم رونقًا . ولو حصلوا في ايّامهم على الآلات التي اكتشفها المحدثون لأتوا بالعجائب

# ملحق

## في الكتب الفلكيَّة المصانة في مكتبتنا الشرقية

لا تخلو مكتبتنا الشرقية من بعض الآثار الفلكيَّة وهي عبارة عن ثلاثة عشر كتاباً نورد اسماءها هنا لفائدة القرَّاء

١ شرح الجغميني في الهيئة . الجغميني هو محمود بن محمَّد بن عمر الجغميني الخوارزمي المتوفي سنة ٦١٨ هـ (١٢٢٢ م) . لهُ كتاب يدعى «الملخَّص في الهيئة» طُبع في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, XLVII) ونقل الى اللغة الالمانية . يتألف من مقدَّمة ومقالتين في الاجرام العلويَّة والبسائط السفلية . وقد عني بشرحهِ كثيرون من المؤلفين . وشرحُنا هذا هو لصلاح الدين موسى بن محمود المعروف بقاضي زاده الروميّ فرغ من تأليفهِ سنة ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) وضعهُ للسلطان الوغ بيك ابن شاه رخ ابن الامير تيمور كوركان . ونسختنا غير مؤرخة يرتقي عهدها الى القرن السابع عشر . عدد صفحاتها ١٩٤ ذات ١٥ سطراً بخط نسخيّ حسن اوَّلها «الحمد لله الذي اودع سرَّهُ المكتومَ» . وفيها اشكال فلكيَّة محكمة . ومن هذا الكتاب نسخ عديدة في خزائن كتب اوربَّة

٢ نسخة اخرى من الشرح ذاتهِ اقدم عهدًا الَّا بعض صفحات منهُ . ومقدَّمتها تختلف عن النسخة السابقة أوَّلها «الحمد لله الذي جعل الشمس ضياء» . وخطّ هذه النسخة من النستعلق على هوامشها تفاسير عديدة . وبعض اشكالها بلون أحمر عدد صفحاتها ١٧٩ سطورها بين ١٤ و١٧

٣ رسالة في معرفة استخراج اوقات الصلوة وشيء من التواريخ والاعمال الفلكيَّة . مؤلفها الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن حسن الحطَّاب الرُّعَيني المالكي . تشتمل على مقدَّمة في فضل علم الهيئة ويليها عشرة ابواب ولكل باب فصول . ففي الباب الاوَّل تُعرَّف الحروف التي اصطلح عليها الفلكيون ثمَّ الدرجات والدقائق والساعة الزمنيَّة والساعة المستوية الخ . وفي البابين الثاني والثالث وصفُ الاربعة التواريخ المعروفة اي العربيّ والقبطيّ والروميّ والفارسيّ مع تعريف السنة البسيطة والكبيسة وجداول للمقابلة بين التواريخ المذكورة . وفي الابواب التالية (٤ و ٥ و ٦) يبيّن الرُّعَيني ما يختصّ بدوران الشمس والقمر وفصول السنة التي يجعل بدءها في ١٢ اذار و١١ تموز و١٣ ايلول و١٢ كانون الاوَّل . ثمَّ يجعل انحناء دائرة البروج ٢٣° و٣٥' . ويدل على طريقة تعيين الاعراض والاطوال لكل مدينة مع جداول لأشهر هذه المدن ثمَّ يبيّن ارتفاع الشمس وميلها ومعرفة المطالع الفلكيَّة والمطالع البلديَّة ومطالع الوقت ومطالع الكواكب والماضي والباقي من الليل ومعرفة الاوتاد الاربعة . وبقيَّة الكتاب لمعرفة الاوقات لاسيَّما اوقات الصلوات امَّا بالظلال وامَّا بانعكاس الشمس او كوكب معلوم في سطل ماء ثمَّ ينتهي بطريقة الاستدلال على القبلة وذكر اعياد المسلمين والنصارى . تاريخ هذه النسخة سنة ٩٣١ هـ (١٥٢٥ م) وهي مكتوبة بخطّ نسخي مشرق عدد صفحاتها ٩٠ لكل صفحة ٣١ سطراً . ولا نعرف لهذا الكتاب نسخة ثانية

٤ مجموع ثلاث رسائل: ١ً كفاية القنوع في العمل بالربع المقطوع. للشيخ بدر الدين ابي القاسم محمد بن محمد الشهير بسبط المارديني المتوفى سنة ٩٣٤هـ (١٥٢٧م) – اختصره من رسالة اخرى مطوّلة اسمها «اظهار السرّ المودوع في العمل بالربع المقطوع» رتّبها على مقدّمة وخمسة عشر باباً. يبحث المؤلف فيها عن ميل الشمس والساعات المستوية والساعات الزمنيّة وعن معرفة الظلّ من الارتفاع والدائر بين الظهر والعصر ومدّة الفجر واعراض البلاد ومعرفة القبلة والمطالع الفلكية الخ. صفحاتها ١٧ ذات ١٧ سطراً من الخطّ النسخي يرتقي عهدها الى نحو ١٥٠ سنة. ٢ً ويلي الرسالة السابقة رسالة ثانية للمؤلف نفسهِ تدعى «رسالة في العمل بالربع المجيّب» فيها مقدّمة وعشرون فصلا مدارها على مواضيع الرسالة السابقة – صفحاتها ٧ وسطورها بين ١٩ و٢٢. ٣ً وفي آخر الكراس نسخة ثانية من الرسالة ذاتها بخطّ أحدث ص ٨ سطر ٢١

٥ نسخة ثالثة من الرسالة في العمل بالربع لسبط المارديني. كُتبت سنة ١١٥٥هـ(١٧٤٢م) وفي آخرها ملحق مأخوذ من زيج ابن يوسف (لعلّهُ يريد ابن يونس) صفحاتها ١٦ س ١٩

٦ مجموع رسالتين: ١ً رسالة مختصرة في العمل بالربع. وهي الرسالة المذكورة سابقاً المعروفة بكفاية القنوع (راجع العدد ٤) صفحاتها ٢٦ لكل صفحة ١٥ سطراً كُتبت سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) – ٢ً رسالة ابي الحسن كوشيار بن لبان الحلبي (والصواب الجيلي) في اصول صناعة الاحكام تجمع بين علم النجوم والتنجيم. وهذه الرسالة غير زيج كوشيار الذي جاء وصفهُ في قائمة كتب ليدن (٣: ٨٤). صفحاتها ٢١٥ من الخطّ العادي وأسطر الصفحة بين ١٢ و١٦

٧ الرسالة الفتحية في الرسالة الجيبيّة. هي نسخة رابعة من رسالة السبط المارديني السابق ذكرها (في العدد ٤ و ٥) – يليها شرح مطوّل عليها لعبد الرحمن بن عبد الله بن الحاج أحمد التاجوري في آخرها قصيدة الامام الشافعي في معرفة الاوقات – صفحات هذه النسخة ٦٦ س ٢١ كُتبت بخطّ نسخي حسن سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠ م) في القاهرة. لم نجد ذكراً لهذا الشرح في قائمة المكاتب الاوربيّة. منها نسخة في المكتبة الخديويّة (٥: ٢٥٢)

٨ كتاب قديم ناقص اوّلهُ ولا يعرف مؤلفهُ يبتدئ في وسط الباب ٤٨ وينتهي في الباب ٦٠ كُتب سنة ٨٣١هـ (١٤١٨م) بخطّ نسخي متقن وهو مزيّن باشكال عديدة حسنة من جملة مباحثهِ فصول في الظلال والساعات الشمسية. وفي الباب الأخير بحث عن معرفة سمة الانهار وعمق الآبار. صفحاتهُ ١٠٧ وسطورهُ ٢٣

٩ مجموع كبير فيهِ عدّة كتب فلكيّة. في صدرهِ صورة الارض بألوان (كما رسمناها في المشرق) مع صور دوائر الفلك المحيط والكواكب وصورة فلك البروج وكسوف الشمس. ١ً اندر النظيم في علم التقويم على اصول رَصد الغ بيك السمرقندي. لمحمد بن عبد الرحمان المغيني الشافعي. صفحاتهُ ١٦٠ لكل صفحة ١٩ سطراً بخطّ عاديّ حسن واطار احمر. كتبهُ مؤلفهُ سنة ١٢١٥هـ (١٧٠٠م) يحتوي على تقاويم عديدة ذات مداخل وفيهِ مقدّمة وستّ مقالات مضمونها مبادئ التواريخ العربية والقبطيّة والرومية والفارسية. ثمّ تقاويم الشمس والقمر واستقبالها واقترانها ثمّ روية الاهلّة وشروطها وحدودها ثمّ الخسوفات والكسوفات ثمّ اختلاف طول الليل والنهار على اختلاف الاعراض والساعات الزمنيّة والساعات المستوية الخ. ثمّ القائمة وفيها كلام على بعض

الكواكب. وهذا الكتاب لم نجد لهُ ثانياً في خزانات الكتب الشرقيَّة — ٢ شرح منظومة علي بن ابي الرجال الكاتب القيرواني في احكام الافلاك. صفحاتها ٢٥٧. خطُّها كالسابق. مضمونها التجامة ممَّا لا طائل تحتهُ — ٣ كتاب غاية الادراك في اسرار علم الافلاك لمحمَّد بن ابي بكر الفارسيّ. ص ٩٥. في التنجيم — ٤ كتاب احكام النجوم لسهل بن بشر الاسرائيلي. في التنجيم خطُّهُ قبيح. ص ١٣٢ — ٥ فوائد شتَّى وارجوزة في التنجيم. ص ٣٠

١٠ توضيح التذكرة. وهو شرح جزيل الافادة على كتاب التذكرة في علم الهيئة لنصير الدين الطوسي المتوفَّى سنة ٦٧٢ ﻫ (١٢٧٣ م). امَّا الشارح فهو نظام الدين ابن محمَّد النيسابوري المعروف بالاعرج صنَّف شرحهُ سنة ٧١١ ﻫ (١٣١١م). وفي المكتبة الوطنيَّة في باريس نسخة منهُ حسنة (Catalog. Paris, N° 1510). ونسختنا هذه جيدة سقط منها اوراق قليلة في اوَّلها. صفحاتها ٤٧٨ وسطورها بين ١٥ و٢٣. مكتوبة بخطّ جليّ غير متقن. فيها اشكال عديدة حمراء وسوداء. وهذا الكتاب تصنيف جليل اودعهُ مؤلفهُ كل المباحث التي تتعلَّق بالعلوم الفلكيَّة المعروفة في زمانهِ

١١ مسائل عمر بن فرحات الطبري. خلط فيها المؤلف بعض مسائل فلكيَّة ثابتة مع ابحاث عديدة في التجامة. صفحاتهُ ١١٤ س ٢٣. خطهُ في اكثرهِ حسن كُتب قبل ٢٠٠ سنة

١٢ جداول لمعرفة تواريخ السنة الهجريَّة والقبطيَّة والرومية. ص ٢٠ منذ نحو ٢٠٠ سنة

١٣ جداول اخرى ناعمة الكتابة جميلها مع شروح تركيَّة. عهد النسخة نحو ١٥٠ سنة ص١٢

---

# آدم ابو البشر

نبذة ملخَّصة للاب لويس شيخو اليسوعي (ردًّا على الهلال)

كنَّا اشرنا الى مجلَّة الهلال المرَّة بعد المرَّة بألَّا تتعرَّض للمسائل الدينيَّة او الكتابيَّة لقصر نظر صاحبها في هذه الابحاث فكأنَّ مشورتنا لم تحظَ قبولًا لديهِ او جذبتهُ النفس الامَّارة الى مسّ الثمرة المحرَّمة فلم يكبح هواها وكلُّ ممنوع متبوع

وممَّا اطرف بهِ هذه المرَّة قرَّاءهُ انَّ معتقد المسيحيين والمسلمين واليهود في آدم ابي البشر ليس بثبتٍ فقال لا محق الله هلالهُ (في عددهِ ٢ من السنة التاسعة ص ٤٩ و٥٠):

«يذهب بعض العلماء الى أنَّ آدم ليس هو اوَّل انسان خُلق على وجه الارض وبعبارة أُخرى انهُ ليس جدّ البشر بوجه الاطلاق بل هو جدّ بعض الطوائف ومنهم اليهود. ويستدلُّون على ذلك بادلَّة بعضها تاريخي وبعضها عمرانيّ وليس فيها نصٌّ صريح وانمَّا يسترشدون اليهِ ببعض القرائن مثل مقابلة عمر الخليقة بحال التمدُّن القديم وسنَّة الارتقاء الطبيعيَّة في التمدُّن ونحو ذلك»

ثمَّ اورد قصَّة قائين وقولهُ للرب: «طردتني عن وجه الارض . . . فيكون كل من

وجدني يقتلني » فزعم صاحب الهلال انَّ هذا دليل على « انَّ الارض كانت مأهولة قبل آدم ». وكذلك ذهب الى ان قائين تزوَّج بأمراة لم تكن من نسل آدم بل من اناس قبلهُ. ثمَّ ختم الهلال قولهُ بما نصُّهُ:

« واكثر علماء اللاهوت ينكرون ذلك ويؤولون اقوال التوراة والمسألة لا تزال موضوع ابحاثهم »

فقبل جوابنا على الهلال فليأذن لنا بان نسألهُ عن اسماء هؤلاء العلماء الذين ارتأَوا هذا الرأي لأنهُ اعتاد سامحهُ الله ان ينسب الى العلماء ما يتبرأ منهُ العلم الصحيح. وهذا دأب كثير من المجلات المصرية التي تتعرض للدين ومباحثهِ الراهنة متسترة وراء قبرة العلم لتوهم القرَّاء انَّ العلم الصادق يُنطق لسانها وهي تبعد من العلم مناط الثريا

وكذلك اشار الهلال الى بعض اللاهوتيين الذين ذهبوا الى هذا القول ونسي ان يذكر اسماءهم. ولا نشك انَّ هؤلاء اللاهوتيين هم من صنف علماء الهلال اعني كفرة ملحدين

هلمَّ الآن نبحث عن الادلَّة التي بنى الهلال عليها زعمهُ وهي على نوعين بعضها عقليَّة وبعضها نقلية

امَّا العقلية فهي على زعم صاحب الهلال « مقابلة عمر الخليقة بمجال التمدُّن القديم وسنَّة الارتقاء الطبيعية في التمدُّن » يريد جنابهُ انَّ العقل لا يقبل كون الانسان الاوَّل اي آدم خُلق في تاريخ قريب العهد كما روى الكتاب الكريم لانَّ هذا الوقت ليس بكافٍ لشرح نموّ بعض الامم وترقي الانسان من حالة البداوة الى حالة التمدُّن

غير انَّ جنابهُ اسند برهانهُ الى وهم باطل وهو يتخيَّل ان الذين يعتقدون بالكتب المنزلة اتَّخذوا لهم تاريخًا لا يجوز لهم ان يتعدَّوهُ في شيء. وهو زعم فاسد زيَّفناهُ في جوابنا على المعلومات ( المشرق ٣ : ٤١١ ) وقلنا هناك انَّ الكنيسة لم تقرر حسابًا لعمر الدنيا ولتكوين آدم وانَّ لعلماء الكنيسة الكاثوليكيَّة حسابات عديدة في ذلك تختلف بينها اختلافًا يبلغ ألوفًا من السنين. وكلُّها تستند الى التوراة ولا بأس ان يلتجئ العلماء الى حساب دون آخر اذا رأوا ان العلم الراهن والاكتشافات الصحيحة تقتضي زمنًا اطول لشرح تواريخ بعض الامم. ومن ثمَّ لا حاجة الى القول بانَّ آدم ليس ابا البشر

هذا من جهة البراهين العقليّة . امّا الادلّة النقلية فهي اوهن من نسيج العنكبوت لأنّ صاحب الهلال بناها على الكتاب الكريم . وليس في الاسفار الالهيّة قضيّة اوضح من كون آدم أبا البشر يعرفها صغار المدارس فضلًا عن العلماء يكفي لبيان ذلك مطالعة الفصلين الاوّلين من التوراة ما لم يدَّعِ كاتب الهلال انّ الكتاب المقدّس يناقض نفسهُ ويثبت في الفصل الاوّل من التكوين ما ينكرهُ في الفصل الرابع وحاشا الله عزَّ وجلَّ أن يأتي بالاقاويل المتضاربة وهو ربُّ الحقّ جلَّ اسمهُ

وليس في الشاهدين الذين اوردهما صاحب الهلال ادنى حجَّة تؤيد زعمهُ لانَّ قول قاين للرب « كل من يراني يقتلني » لا يدلُّ على كون الارض كانت اذ ذاك مأهولةً بل يبين خوف قاين من الذين سيقومون عمَّا قليل من نسل آدم وحوَّاء فيعرفون سوء معاملتهِ لاخيهِ هابيل ولا يدعون دمهُ مهدورًا

وكذلك زيجة قاين لا تدلُّ على انَّ امرأتهُ كانت من نسل غير نسل آدم وحوَّاء. وقد اثبت الكتاب الكريم انَّ الابوين الاوَّلين خلَّفا اولادًا وبنات فتكون امرأة قاين احدى هذه البنات

افعند صاحب الهلال ادلَّة اخرى فليأتِ بها لنفحصها . ولكونهِ يدَّعي العلم بالمباحث اللاهوتيين فلا بأس ان يعمل نظرهُ الثاقب في كتبهم لعلَّهُ يكتشف ما هو ابين دليلًا واقوى حجَّةً . فنسعى بتفنيدهِ ان شاء الله

---

## مطبوعات شرقية جديدة

DIWAN AUS CENTRALARABIEN
gesammelt, ubersetzt u. erlautert von A. Socin,
*herusgegeben v. H. Stumme, I u. II, Berlin* 1900

### ديوان العرب في اواسط جزيرة العرب

فُجعت الدروس العربيَّة قبل بضعة اشهر بوفاة احد مشاهير المستشرقين الالمانيين الذين وقفوا حياتهم على خدمة الآداب الشرقيَّة وهو الدكتور البرت سوتسين معلم العربيَّة في كليَّة ليبسيك . وللفقيد عدَّة مآثر لغويَّة تنطق بفضلهِ حتَّى صار حجَّةً يرجع اليهِ العلماء في المشاكل اللغويَّة . وكان المذكور كلفًا بلغات الشرق العاميَّة تجشَّم لاجتناء فرائدها الاسفار الطويلة فجمع منها شيئًا وافرًا نشر قسمًا منهُ في المجلَّات الاوربيَّة .

وكان يهتمّ في آخر حياتهِ بطبع كتاب آخر ضمّنهُ نيفاً ومئة قصيدة من اقوال عرب بغداد وسوق الشيوخ وماردين مع شرحها وصورة لفظها ألّا ان الموت عاجلهُ فلم يسمح لهُ بانجاز عمله. فقام بهذا المشروع بعدهُ احد كبار العلماء الالمانيين الدكتور ه. ستُمّه فاحسن. وقد راجعنا هذا الكتاب واذا هو حافل بالملاحظات اللغويّة التي تعرّف لهجة اهل البدو في العراق واواسط جزيرة العرب مع نُبذ جليلة من عوائدهم واحوالهم فجاءت هذه الحلقة الادبيّة اثرًا جميلًا اورثهُ المرحوم بعدهُ محبّي اللغات العاميّة

**Ararat und Masis**

Studien z. armenischen Altertumskunde u. Litteratur.

*v. Friederich Murad, Heidelberg.* 1901 SS. 101

## ارارط وماسيس

ورد في الكتاب الكريم (تك ٨: ٤) انّ تابوت نوح استقرّ على جبال ارارط. ألّا انّ المفسّرين اختلفوا في المدلول عليه بجبال ارارط فمنهم من زعم انها جبال ارمينية وانّها هي جبال ماسيس ومنهم من ارتأى انها جبال كردستان التي من جملتها جبل الجودي. وهو الرأي الشائع بين العرب وغيرهم ولا يخلو من السَّند. فاراد الاديب فردريك مراد ان يبحث في ذلك فجمع كل الشواهد القديمة التي وجدها في آباء الكنيسة والمؤرخين وقابل بينها وبين التقاليد المحليّة لاسيَّا الارمنيّة فجاء كتابهُ تأليفاً شاملًا لكل ما ورد في هذه المسألة. ويزيدهُ شأنًا ما اودعهُ المؤلف من الابحاث في اصول تواريخ الارمن واحوالهم القديمة وكَتَبتهم وآدابهم فنثني على همّة الكاتب ونتمنّى لكتابه رواجًا

## ديوان ابي فراس الحمداني

حلّ بعض الفاظهِ وشرح معنى بعض ابياتهِ نخله افندي قاناط

طبع في بيروت في المطبعة الادبيّة سنة ١٩٠٠ ص ١٦٠

هذه الطبعة الجديدة من ديوان ابي فراس الحمداني تفضل الطبعة السابقة التي نُشرت اوّلًا في المطبعة السليميّة سنة ١٨٧٣ سواء كان من جهة اصلاح المتن او حسن الطبع لاسيَّا وقد زيد عليها تذييلات وشروح مفيدة. ولكن يسوءُنا انّ متولي تجديد طبع هذا الديوان لم يستند الى نسخة خطيّة قديمة ولم يطّلع على ما نشرهُ الاوربيّون خصوصاً الدكتور دفوراك (R. Dvorak) من قصائد ابي الفراس فكان

استفاد بذلك وأفاد الادباء بالمقابلة واختيار الروايات وبعض الزيادات المهمّة

• Bulletin de l'association des anciens élèves de la Fac. cath. de Médecine

لائحة جمعيّة التلامذة الاقدمين في مكتبنا الطبي

تتضمّن هذه اللائحة كثيراً من الافادات بخصوص مكتبنا الطبي كتاريخ انشائهِ ولجنة اساتذتهِ وقائمة تلامذتهِ الاقدمين مع ذكر اعمال المؤتمر الطبي الذي عُقد في المكتب المذكور في اواخر حزيران ل.ش

## تقويم البشير لسنة ١٩٠١

لا حاجة الى وصف هذا التقويم والكلُّ يعرفونهُ من طبعاتهِ السابقة منذ نيف وعشرين سنة هذا فضلاً عن كثرة موادهِ ووفرة فوائدهِ

## هدايا أُرسلت الى ادارة مجلة المشرق

١ رحلة الى بلاد النصيريين بالفرنسيَّة للاب لامنس Au pays des Nosaïris, par le P. H. Lammens, 1900, pp. 73

٢ تاريخ النصيريين وديانتهم للعلّامة دوسُّو Histoire et Religion des Nosaïris par R. Dussaud, 1900

٣ المسامرة في اضرار المهاجرة. طبعت في المطبعة الثانية في بعبدا ١٩٠٠ ص ١٦

٤ قصائد عديدة للادباء موسى افندي صفير ويوسف افندي القاخوري ويوسف افندي غنّام ثابت

## شذرات

مؤتمر جديد عُقد في رومية اوَّل مؤتمر للبحث عن الدوافع الواقية من البرد (راجع المشرق ٣: ٨٦١)

المصل الشافي من البرص قد اختبر مكتب باستور في مستشفى هانوي عاصمة التنكين مصلاً استخرجهُ من الماعز لمعالجة البرص فجرَّبهُ في بعض المصابين بهذا الداء فتحسَّنت حالتهم بحيث يُرجى شفاؤهم قريباً

وصفة بسيطة لتخفيف ألم الحرق اذا أُصيب احد بحرق عليهِ ان يسوّد العضو المحروق بالحبر فانَّ الموادَّ العفصيَّة والحديديَّة الداخلة في تركيب الحبر تخفّف ألم الحرق الى ان يزول

* روايات الشعر القديم * اخذ العجب بعض القرَّاء عند مطالعتهم البابين الاوَّلين من كتاب

حماسة البحتري لانهم رأوا بعض الابيات مختلفة عمَّا كانوا سمعوهُ سابقًا فظنُّوا اننَّا حرَّفنا اقوال الاقدمين. فتعجبنا لعجبهم وفهمنا انَّهم ليسوا بخبيرين بالشعر القديم الذي بلغنا بروايات عديدة يثبتها العلماء كما يجدونها رجاء ان يتوصَّلوا بالمقابلة الى اصلها الصحيح وكان الاحرى بهؤُلاء المنتقدين ان يستدلُّوا بذلك على امانتنا في النقل. ولم نورد الروايات الشاذة اختصارًا كما اشرنا الى ذلك في ذيل مقالتنا وسندونها ان شاء الله عند طبع الكتاب بتمامهِ

# أسئلة وأجوبة

س سبب تقديم سحر السبت على الجمعة في المزامير (جواب سؤال سابق ص ١١٠٣)

ان الكنيسة الشرقيَّة قسمت مزامير داود الى سبعة اقسام بحيث يُتلى قسم منها في سحر كل يوم من ايَّام الاسبوع وذلك على ترتيب المزامير كما هي في التوراة الَّا مزامير سحر الجمعة وسحر السبت فغيَّرت فيها الترتيب وجعلت المزامير ١٠٩ الى ١١٨ لسحر السبت والمزامير الاخيرة (١١٩ — ١٥٠) لسحر الجمعة وذلك لانَّ معاني المزامير الاولى يغلب عليها الفرح وتوافق السبت بخلاف المزامير التي بعدها (١١٩ — ١٥٠) فانَّ معانيها الحزن وفيها نبوَّات لآلام المسيح فهي اوفق ليوم الجمعة ل. ش

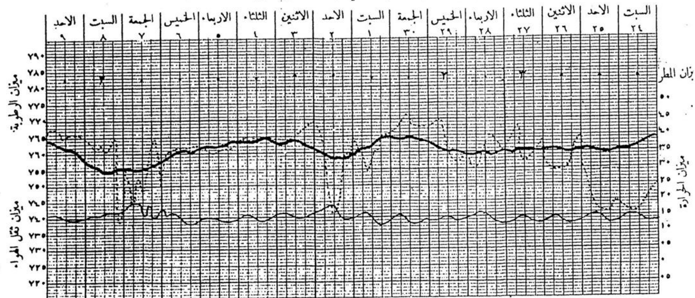
س سألنا بعض وجوه البلدة ان نفيدهم عن الرتبة المعروفة بحامي القديس بطرس

رُتبة حامي القديس بطرس

ج هي احدى الرُتب الشرَفية التي تمنحها لجنةٌ مركزها في رومية دون ان يُذكر في صكّ تقليدها اسم الحبر الاعظم. والدليل على ذلك انَّنا لم نجد هذه الرتبة في عداد الرتب الرسمية التي يمنحها الكرسيّ الرسولي بنفسهِ. وكذلك سألنا القصادة الرسوليَّة في سوريَّة عن هذه الرتبة لنعرف هل يتولَّى تقليدها الحبر الاعظم فقيل لنا انها ليست من الرتب الرومانيَّة الرسميَّة ه. ل

اصلاح بعض اغلاط طبعيَّة ص ٩٩٤ س ٦ «فبرَ» والصواب «فيرى» = ٩٩٧ س ١٢ «أنُ الدقّ» والصواب «آنُ الدقّ» = ١٠٣٠ س ٥ «بفقرة» والصواب «بنقرة» — س ٦ ليصلح السطر هكذا: فلا تقبلهُ النفس (٢). فكيف بثماني نقرات = ١٠٣٥ س ١٠ «فتولأهم» والصواب «تولّاها» = ١٠٣٦ س ٢٦ «ففرش فرشه» والصواب «فراشه» = ١٠٤٥ س ١١ «يتوَّج جمم» والصواب «يتوَّج بهِ» = ١٠٩٠ س ٨ «ربَّ ركَبِ» والصواب «رُبَّ ركبِ»

قائمة للآثار الجوية    من ٢٤ تشرين الثاني الى ٩ كانون الاول ١٩٠٠




انَّ الخطَّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطَّ الرفيع المتتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطَّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدائرة على درجات ثقل الهواء تدلُّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات